

علاقة اللفظ بالاستعمال: الاشتقاق (مفهومه، أنواعه)

تمهيد: تتميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات بكونها لغة اشتقاقية، واتساع معجمها اللفظي، فللمعنى الواحد ألفاظ متعددة، إذا تعسر على المتكلم لفظة أتى بمرادفها، سواء كان مصدر التعسر النسيان، أو عدم القدرة على نطق بعض الحروف، وألفاظها تتوالد، ولها طريقة عجيبة في التوليد جعلت آخر هذه اللغة متصلاً بأولها في نسيج ملتحم من غير أن تذهب معالمها بعكس اللغات الأوروبية ففي اللغة العربية نشق المكتبة (اسم المكان) من الكتاب والكتابة بينما لا علاقة بين (book) التي تعني كتاب في اللغة الإنجليزية وبين (library) التي تعني مكتبة.

والكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلة بل تعيش متجمعة في مجموعات كما يعيش العرب في أسر وقبائل، وعلى أساس ذلك تلتقي مع مثيلاتها في مادتها ومعناها، مثل: كتب - كاتب - مكتوب - كتابة - كتاب... فتشترك هذه الكلمات في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها، فضلاً عن اشتراكها في قدر معين من معنى المادة الأصلية العام.

1. مفهوم الاشتقاق:

لغة: اشتقاق الشيء: بنيانه من المرتجل. واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يميناً وشمالاً. واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه¹.

اصطلاحاً: الاشتقاق نزع لفظٍ من آخر، بشرط مناسبتهم معنىً وتركيباً، ومغايرتهما في الصيغة².

وشروط الاشتقاق أن يتحقق التوافق بين اللفظ المشتق واللفظ المشتق منه في التركيب والدلالة، بل لا بد أن يحمل المشتق معنى جديد يضاف إلى الدلالة الأصلية للمشتق منه، لأنه يعتمد في جوهره على توليد بعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحى بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد³.

أجمع أهل اللغة على أن للغة العربية قياس تعتمد عليه في اشتقاق الكلام بعضه من بعض، وقد نقل هذا الإجماع ابن فارس قائلًا: «أجمع أهل اللغة - إلا من شذَّ منهم - أن للغة العرب

1 لسان العرب، ابن منظور، مادة (شق)

2 كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ص 27

3 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 257

قياساً وأن العرب تشتقُّ بعض الكلام من بعض واسم الجنِّ مشتقٌّ من الاجْتِنان وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر تقول العرب للدرع: جُنَّةٌ وأَجَنَّهُ الليلُ وهذا جنين أي هو في بطن أمِّه»⁴.

2. شروط الاشتقاق:

أكد علماء اللغة على أن ثمة شروط لا بد أن تتوفر في الاشتقاق، وإلا لم يصدق عليه مصطلح الاشتقاق، وقد حصرت هذه الشروط في ثلاثة:

1. لا بد في المشتق، اسماً كان أو فعلاً، أن يكون له أصل، لأن المشتق فرع مأخوذ من لفظ آخر، ولو كان أصلاً في الوضع غير مأخوذ من غيره لم يكن مشتقاً.
2. أن يناسب المشتق الأصل في جميع الحروف الأصلية.
3. أن يكون بين المشتق والمشتق منه (الأصل) تناسب في المعنى⁵.

3. أنواع الاشتقاق:

حصر علماء اللغة الاشتقاق في أربعة أنواع:

1. الاشتقاق الأصغر (العام)
2. الاشتقاق الكبير (القلب)
3. الاشتقاق الأكبر (الإبدال)
4. الاشتقاق الكبار (النحت)

ويدرس الاشتقاق على أنه توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد. وهذه الوسيلة الرائعة في توليد الألفاظ وتجديد الدلالات نجدها في أنواع الاشتقاق الثلاثة الشائعة: الأصغر، والكبير، والأكبر، وفي النوع الرابع الملحق بها، وهو النحت⁶.

أولاً. الاشتقاق الأصغر (العام أو الصرفي):

هو أهم أنواع الاشتقاق الأربعة، وأكثرها استعمالاً في العربية، وإذا أطلق لفظ الاشتقاق دون قيد، فهو المقصود، عرفه العلماء بأنه: «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة

4 المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج 01 ص 274

5 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 258

6 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح إبراهيم الصالح، ص 174

أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحذر من حذر⁷.

أو هو شق كلمة من كلمة، مع الحفاظ على أصلي اللفظ والمعنى، وترتيب الحروف؛ كضرب يضرب فهو ضارب لا مضروب من (الضرب) ودخرج يدخرج فهو مدخرج لا مدخرج من (الدخرجة)، ويُعد من أهم المقاييس أو الأدلة التي تميز بها الأصول؛ بعضها من بعض، إن لم يكن أهمها على الإطلاق⁸.

وأهم ما في الاشتقاق الأصغر ارتداد التصارييف المختلفة المتشعبة عن المادة الأصلية، إلى معنى جامع مشترك بينهما، يغلب أن يكون معنى واحداً لا أكثر، كما في تصارييف مادة "ع ر ف" فجميعها تفيد الانكشاف والظهور⁹.

❖ هل اختلف في بيان أصل المشتقات؟

أصل المشتقات:

لا بد من التنبيه إلى أن ثمة خلاف بين البصريين والكوفيين في أصل المشتقات فالبصريون يرون أن المصدر هو الأصل والفعل مشتق منه، والكوفيون يرون أن الفعل هو الأصل والمصدر مشتق منه.

واستدل البصريون على أن المصدر أصل الفعل بأمور منها، أن المصدر يدل على زمان مطلق، والفعل يدل على زمان معين، فكما أن المطلق أصل للمقيّد فكذلك المصدر أصل للفعل. واستدل الكوفيون على أن الفعل أصل المصدر بأمور، منها أن المصدر يصح لصحة الفعل، ويعتل لاعتلاله، كما في قولك: قاوم قِوْماً وقام قياماً، فلما صح المصدر لصحة الفعل واعتل لاعتلاله دلّ على أنه فرع عليه.

والخلاف في هذه المسألة مبسوط في كتب النحو والصرف¹⁰، فلا حاجة لبسطه هنا، وقد رجح جمهور العلماء مذهب البصريين¹¹.

7 المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج 01 ص 275

8 تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،

المملطة العربية السعودية، ط 1: 1422 هـ، ج 1 ص 247

9 دراسات في فقه اللغة، د. صبيحي إبراهيم الصالح، ص 174

10 الصحيح أن المصدر أصل للفعل والوصف؛ لأن من شأن الفرع أن يكون فيه ما في الأصل وزيادة. والفعل والوصف بالنسبة إلى المصدر كذلك؛ فالمصدر يدل على مجرد الحدث؛ وكل من الفعل والوصف يدل على الحدث وزيادة؛ فالفعل يدل على الحدث والزمان، والصفة تدل على الحدث والموصوف؛ وهذا مذهب البصريين، وأما الكوفيون فيرون أن الفعل أصل المشتقات كلها، ويرى ابن طلحة أن كلا من المصدر والفعل أصل قائم بذاته؛ ويرى جماعة من النحاة أن المصدر أصل للفعل وحده، وأن الفعل أصل لسائر المشتقات.

11 موت الألفاظ في العربية، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط 29: العدد 107، ص 391

لا شك أن المصدر أجدر أن يكون هو أصل المشتقات كلها؛ «لأن المصدر -كما يقول الأستاذ الأفغاني بحق- يدل على حدث، والفعل يدل على حدث وزمن، والأسماء المشتقة تدل على حدث وزمن مع زيادة ثالثة؛ كالدلالة على الفاعل أو المفعول أو التفضيل أو المكان، فهذه الكثرة من المشتقات التي جعلت للغة سعتها، ومرونتها أخذت من المصادر التي هي جميعاً أسماء معانٍ»¹².

والأخذ برأي الجمهور على أن المصدر هو أصل الاشتقاق، يقودنا إلى بيان المراد بالمشتقات والتي تشمل: **الفعل الماضي، المضارع، والأمر، واسم المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، واسم الزمان، واسم المكان، واسم الآلة، واسم الهيئة، واسم المرة، والمصدر الميمي**¹³.

وجدير بالذكر أن الاشتقاق في اللغة العربية لم يقتصر على المصادر التي هي أسماء معانٍ، بل إننا نجد في كلامنا ألفاظاً مشتقة من غير المصدر، **كالاشتقاق من أسماء الجواهر التي هي أسماء الأعيان**، وبهذا اعتبر أسماء الأعيان أصل للمشتقات في مادته، **فقد اشتق لفظ الفعل «تأبَّل» أي اتخذ إبلاً من الاسم «إبل»، والفعل «تأرَّض» أي لصق بالأرض من الاسم «أرض»، والفعل «تبَيَّ» أي اتخذ ابناً من الاسم «ابن»**¹⁴...

وقد أكثر العرب من اشتقاق الأفعال والمصادر من هذه الأسماء، وامتلأت المعاجم وكتب اللغة بما لا يحصى من الجواهر التي تفرعت عنها الصفات والأحوال، والمصادر والأفعال، **فمن الإنسان اشتقوا: رأسه رأساً إذ ما أصبت رأسه، وأفخته أفخاً إذا ضربت يافوخه، فإن ضربت دماغه قلت دماغه، وإن أصبت منخره فقد نخرته، أو أنفه أنفته، أو ذقنه ذقنته، أو ظهره ظهرته، أو فقاره فقرته، أو بطنه بطنته، أو كبده كبדתه، أو يده يديته، أو ساقه سقته، أو رجله رجلته، أو كعبه كعبته.**

ومن الأسماء الأقارب اشتقوا المصادر والأفعال، فالتبني من الابن، والتأبي من الأب، والتأمم اتخاذ الأم، والبعال والمباغلة: اتخاذ البعل.

وولّدوا كثيراً من الألفاظ من أسماء الأمكنة فقالوا: أحرم القوم: دخلوا في الحرم، ساحلوا: أتوا الساحل، كوف: صار إلى الكوفة، قدّس: أتى بيت القدس، أيمن: أتى اليمن، أهضب: نزل الهضاب.

¹² دراسات في فقه اللغة، د. صبيح إبراهيم الصالح، ص 181

¹³ فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 260

¹⁴ الاشتقاق، عبد الله أمين، ص 147: نقلاً عن: فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 261

ومن الأسماء الأزمنة اشتقوا اشتقاقاً صريحاً، فقالوا: أخرفوا، وشتوا، وأربعوا، وأصافوا، وأفجروا، وأظهروا، واستحروا، وابتكروا¹⁵.

كما اشتق العرب من أسماء الحيوانات أفعالا وأحوالا، فقالوا: استأسد الرجل: صار كالأسد، واستنوق الجمل: صار كالناقة أو تشبه بها.

واشتقوا أيضاً من حروف المعاني، فقالوا: سَوَّفَ الأمر، أي ماطل من الحرف سوف، وأنعم، أي قال: نعم، ولألى، أي قال: لا، وكوفت كافا حسنة، ودولت دالا جيدة، وزوّيت زايا قوية¹⁶.

هذا النوع من الاشتقاق قياسي، ويخالف في هذا بعض قدامى اللغويين العرب، فيرون أنه لا قياس على كلام العرب في الاشتقاق، وأن كل كلام العرب توقيف، ومن هؤلاء ابن فارس اللغوي، الذي يقول: «إن الذي وقفنا على أن الاجتنان: التستر، هو الذي وقفنا على أن "الجَنَّ" مشتق منه، وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه؛ لأن في ذلك فساد اللغة، وبطلان حقائقها»¹⁷، وفي هذا القول غلو وإسراف في منع القياس على ما اشتقه العرب، وأن الاشتقاق مذهب من مذاهب العربية، الذي يجدد شبابها على مر الزمن، وأنه قياسي كما ذهب إلى ذلك جمهور اللغويين¹⁸، ومن المؤكد أن القول بقياسية الاشتقاق الأصغر تلبية للحاجات التعبيرية المتتالية، وقد لوحظ أن الكثير من تلك الصيغ التي يجوز اشتقاقها لا وجود لها فعلاً في نص صحيح من نصوص اللغة، فهناك فرق كبير بين ما يجوز لنا اشتقاقه من صيغ، وما اشتق فعلاً واستعمل في أساليب اللغة المروية عن العرب، فليس من الضروري أن يكون لكل فعل اسم فاعل أو اسم مفعول مرويّان في نصوص اللغة، فقد لا يحتاج إليهما المتكلم أو الكاتب في فعل من الأفعال¹⁹.

ثانياً. الاشتقاق الكبير (القلب):

أول من فكر فيه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) وعلى أساس تلك الفكرة رتب معجمه (كتاب العين) ولكن أول من بسط فيه القول وبَيَّن جوانبه ووضَّحه أبو الفتح عثمان

15 دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح، ص182-183

16 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص261

17 الصاحبي في فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تح: محمد علي بيضون، ص36

18 بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3: 1415 هـ، ص182

19 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص262

بن جني (ت392هـ) الذي ذكر أن شيخه أبا علي (ت377هـ) كان يستأنس به يسيرا، وجمهور الصرفيين يطلقون على هذا النوع القلب المكاني²⁰.

وهو عبارة عن ارتباط مطلق غير مقيد بترتيب بين مجموعات ثلاثية صوتية، ترجع تقاليبها الستة وما يتصرف من كلٍّ منها إلى مدلول واحد مهما يتغير ترتيبها الصوتي²¹.

ويسميه ابن جني الاشتقاق الأكبر، لكن الشائع عند أكثر اللغويين تسميته بالاشتقاق الكبير، قال: «وأما الاشتقاق الأكبر²² فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه، الستة معنًى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك "عنه" رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد، من ذلك تقليب: "س م ل"، "م س ل"، "س ل م"، "ل س م"، "ل م س"، "م س ل" س»²³، فابن جني يرى أنه مهما تقلبت واختلف ترتيبها الصوتي، فإن "المعنى الجامع لها" المشتمل عليها الإصحاب والملاينة.

وابن جني هو الذي توسّع في الروابط المعنوية وفي ضرب الأمثلة الموضحة لها، وإن كان لم يزعم اطراد هذا النوع من الاشتقاق في جميع مواد اللغة، بل صرّح باستحالة اطراد والإحاطة²⁴ فقال: «واعلم أنا لا ندّعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندّعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة، بل إذا كان ذلك "الذي هو في القسمة سُدُسُ هذا أو خُمُسُهُ" متعذراً صعباً، كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً، وأعزّ ملتمساً»²⁵.

ومن أمثله تقليب "ج ب ر" إلى "ج ب ر"، "ج ر ب"، "ر ج ب"، "ر ب ج"، "ب ر ج"، "ب ج ر"، فهي أين وقعت للقوة والشدة، منها: "جبرت العظم والفقير" إذا قويتها وشددت منها، والجبر: الملك لقوته وتقويته لغيره، ومنها: "رجل مجرب" إذا جرّبه الأمور وأحكمته، فقويت منّته واشتدت شكيمته، ومنه الجراب؛ لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حفظ الشيء وروعي اشتدّ وقوي، ومنها: "الأبجر والبحرة" وهو القوي السرة. و"منه البُرج لقوته في نفسه وقوة ما يليه،

20 من ذخائر ابن مالك في اللغة مسألة من كلام الإمام ابن مالك في الاشتقاق، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، تج: محمد المهدي عبد الحى عمار، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط29: العدد 107: 1418هـ، ص316

21 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح إبراهيم الصالح، ص186

22 يقصد به الاشتقاق الكبير.

23 الخصائص، ابن جني، ج2 ص136-139

24 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح إبراهيم الصالح، ص188

25 الخصائص، ابن جني، ج2 ص140

ومنها رَجَبَت الرجل إذا عَظَّمته وقَوَّيت أمره، ومنه رجب لتعظيمهم إياه عن القتال فيه، وإذا كرمَت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرجبة، وهو شيء تسند إليه لتقوى به. والراجبة: أحد فصوص الأصابع وهي مقوية لها²⁶.

وقد انتقد العديد من اللغويين القدامى والمحدثين مذهب ابن جني في التقاليد الخاصة بهذا النوع من الاشتقاق، كالسيوطي.

وأما المحدثون فإنهم وإن أثنوا على ابن الجني واعترفوا بالفضل والسبق، فضلاً عن حدة ذكائه وبراعته في إثبات الترابط المعنوي بين تلك التقاليد وإهماله بلطف ورشاقة ما لم ينسجم مع المعنى العام الذي استنبطه، لكنهم مع ذلك فقد انتقدوا منهجه واعتبروا أن ما أثبتته لا يكفي لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الكبير، ويعتقد عبده الراجحي أن هذا الاشتقاق ليس معتمداً في اللغة، لأن محاولة الوصول إلى قدر مشترك من المعاني بين تقاليد اللفظ الواحد لا يعدو أن يكون صنعة اشتهر بها أبو الفتح في تحليله لبعض الظواهر اللغوية²⁷. وقد أكد بعض الباحثين أن أنصار الاشتقاق الكبير قد اقتبسوا فكرة تقليب الأصول من معجم العين للخليل، وغيره كجمهرة اللغة لابن دريد، لكن منهج الخليل وابن دريد في التقليلات، هو منهج إحصائي، غايتها حصر كل المستعمل من ألفاظ اللغة، وبيان المهمل، دون أن يحاولوا رد هذه التقاليد إلى معنى واحد جامع، كما فعل ابن جني، الذي من المتوقع أنه قد استلهم هذا المنهج من فكرة الخليل في معجمه²⁸.

الفرق بين الاشتقاق الكبير والقلب:

تحدث علماء اللغة عن الاشتقاق الكبير والقلب، ومثلوا لكل منهما بأمثلة مشتركة وأصبح المتتبع لكلامهم يعتقد أنهما من باب واحد، فهل يعني هذا أن مصطلح الاشتقاق الكبير له نفس مدلول القلب، وأنه ليس بينهما فرق؟

في حقيقة الأمر، ليس مصطلح (الاشتقاق الكبير) في مؤداه لديهم كمصطلح القلب، وأظهر دليل على ذلك أن ابن جني وهو مبتدع (الاشتقاق الكبير) بلا نزاع، قد أفرد في الخصائص باباً للقلب فجعل عنوانه (في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير).

²⁶ الخصائص، ابن جني، ج 2 ص 137-138

²⁷ فقه اللغة مناهله ومساائله، د. محمد أسعد النادري، ص 265-266

²⁸ فقه اللغة مناهله ومساائله، د. محمد أسعد النادري، ص 266

ومثل فيه ب (جذب وجبذ) ووازن بينه وبين (يئس وأيس) وسواه، ولم يشر في ذلك إلى شيء مما عقد عليه الكلام حول ما أسماه (الاشتقاق الأكبر) أي الكبير، وكذلك فعل في كتاب (سر صناعة الإعراب)، فقد أتى ب (آن وأنى) وذهب إلى احتمال أن يكون من أمثلة القلب أو مما جاء على هيئته، ولم يلمح إلى شيء مما يتصل بالاشتقاق الكبير، وهو قد خصّ هذا الاشتقاق في الخصائص بباب مثل فيه ب (سلم) وتقاليبه الستة، وصنع مثل هذا في (كلم) و(قول) و(جبر) و(قسو) وتقاليب كل منها، ولم يتطرق إلى شيء مما جاء به في القلب في (باب الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير) من قريب أو بعيد. أفليس يدل الفصل بين (القلب) و(الاشتقاق الكبير) عند ابن جني، وإفراد كلٍّ ببحث وباب على حدة، على أن بينهما من التباين ما يوجب ميز أحدهما من صاحبه²⁹ ؟

المراد بالقلب: أراد الأئمة بالقلب غير ما أرادوه بالاشتقاق الكبير. فأمثلة القلب توحى بأن العرب قد عنوا ألفاظاً بعينها فتحرّكت ألسنتهم بما يجاورها نطقاً، فلم يخالفوا بين ما نطقوا به وما عنوه من الألفاظ في الحروف، لكنهم خالفوا في مواقع هذه الحروف بعضها من بعض، مثال ذلك قولهم (أيس)، وقد عنوا به (يئس) بمعنى قنط، وأسموا (أيس) هذا مقلوباً و(يئس) مقلوباً عنه، فالمقلوب والمقلوب عنه لفظان مترادفان معنى واتحدت حروفهما ولكن اختلف ترتيبهما³⁰، ومن ثم كان القلب غير الاشتقاق الكبير³¹.

ثالثاً. الاشتقاق الأكبر (الإبدال اللغوي):

الاشتقاق الأكبر: هو أن يكون بين الكلمتين تناسبٌ في المعنى، واتفاق في الأحرف الثابتة، وتناسب في مخرج الأحرف المبدلة، مثل: نطق ونهق³²، فتتفق في اللفظين بعض الحروف وتتقارب في الباقي، وقد جعلوا التقارب في مخرج الحروف خاصة وفي صفتها نحو جبل وجبر، وحلف وحرف، وهمس وهمش³³، ويطلق على هذا النوع أحياناً الإبدال اللغوي، الذل يختلف عن الإبدال الصرفي³⁴.

29 النحاة والقياس، صلاح الدين الزعبلاني، مجلة التراث العربي - مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد 32 - السنة الثامنة: 1408هـ، ص560

30 ويشبه هذا ما يسمى جناس القلب: وهو ما اختلف فيه ترتيب حروف اللفظين، واتفقا في النوع والعدد والهيئة، مثل: "حتف" و"فتح". و"عورة" و"روعة".

31 النحاة والقياس، صلاح الدين الزعبلاني، ص561-562

32 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص271

33 النحاة والقياس، صلاح الدين الزعبلاني، ص551

34 الإبدال الصرفي: هو إبدال حرف مكان حرف آخر مطلقاً.

فمن تقارب المخرج الصوتي كذلك، تناوب اللام والراء في هديل الحمام وهديره، والقاف والكاف في كشط الجلد وقشطته، والباء والميم في كبحت الفرس وكمحته...

ومن الاتفاق في الصفات: تناوب الصاد والسين في سقر وصقر، وسراط وصراط، وساطع، وصاطع، ومسقع ومصقع، وهكذا³⁵.

وأورد ابن جني في باب "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" كثيرًا من الأمثلة المتعلقة بهذا الضرب من الاشتقاق، وقال فيه: "وهذا باب واسع، من ذلك قوله الله سبحانه: ﴿أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له؛ كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك، ومنه العسف والأسف، كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغلظ من "التردد" بالعسف³⁶.

وإذا كان الاشتقاق الكبير يقوم على القلب، فمن الواضح أن الاشتقاق الأكبر يقوم على الإبدال، وقد أدرك اللغويون إمكان وقوع الإبدال مثلما تصوروا إمكان وقوع القلب، وأنشأوا يلتمسون الشواهد على تماثل المعنى بين الصورتين المبدلة والمبدل منها³⁷.

وقد اشترط العلماء أن يكون بين الحرفين تقارب في المخرج، وإن كانا من مخرج واحد فهو أفضل، خلافا لما يعتقدده الكثير من اللغويين، فيقبلون كل صور الإبدال وإن تباعدت الأحرف المبدلة والمبدل منها صفة ومخرجًا، وقد أشار إلى ذلك ابن سيده في المخصص: «فَأَمَّا مَا لَمْ يَتَقَارَبَ مَخْرَجَاهُ الْبَتَّةَ فَقِيلَ عَلَى حَرْفَيْنِ غَيْرِ مُتَقَارِبَيْنِ فَلَا يُسَمَّى بَدَلًا وَذَلِكَ كإبدال حرف من حُرُوفِ الْقَمِّ من حرف من حُرُوفِ الْحَلْقِ»³⁸.

وبهذا، لا يتحقق الإبدال إذا كان ثمة تباعد تام بين مخارج الحروف المبدلة، كما لا يتحقق الإبدال إذا تباعد المخرج وتقارب الصفة، لأن المعول في باب الإبدال على المخرج لا على الصفة³⁹.

35 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح الصالح، ص 211

36 الخصائص، ابن جني، ج 2 ص 148

37 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح الصالح، ص 212

38 المخصص، ابن سيده، ج 4 ص 184

39 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح الصالح، ص 234-235

ولهذا لم يذكر ابن جني في باب "تصاقب" ⁴⁰ الألفاظ لتصاقب المعاني "من صور الإبدال إلا ما تقارب مخرجًا، بل ما تأخى مخرجًا، حتى كان يعلل هذا التقارب بقوله في الأحرف المبدل منها: "إنها أخوات الأحرف المبدلة"، ولهذا لم يُجرِ مجرى البديل مثل يدب ويدح؛ لأن الحاء ليست أخت الباء، ولا مثل جاسوا وحاسوا؛ لأن الجيم ليست أخت الحاء ⁴¹.

وأكثر ما يكون التقارب الصوتي في الحروف المتقاربة المخرج، كالسين والزاي، في مثل: الشاسب والشازب: اليابس، وكالسين والصاد، في: القسطل والقسطل.

أو الخطأ في السمع، مثل: الخطيط في القطيط.

أو التصحيف الناجم عن قلة الإعجام قديما، مثل: تقيأت المرأة وتقيأت ⁴².

ويوافق هذا ما ذكره السيوطي نقلا عن أبي الطيب اللغوي، حيث قال: « ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد.

والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميمًا، والهمزة المصدرة عينًا، كقولهم في نحو: أن عن، لا تشترك العرب في شيء من ذلك، إنما يقول هذا قومٌ وذاك آخرون ⁴³. أخيرا، الاشتقاق الأكبر، وإن لم تكن له نفس القيمة الاشتقاقية التي للاشتقاق الأصغر، وكذلك وإن اختلفت آراء اللغويين حوله قديما وحديثا، لكنه يبقى ظاهرة لغوية، تتميز بها لغتنا، لا يمكن إلغاؤها، وهي تدل على ثراء اللغة وقدرتها على توليد ألفاظها، حيث تجمع بين لفظين تتقارب دلالتهما، وتتوافق مخارج حروفهما المبدلة.

أمثلة عن الاشتقاق الأكبر: نقل السيوطي عن أبي عبيد في الغريب المصنف: «مدته

أمدته مدها يعني مدخته.

واستأذيت عليه مثل استعديت.

والأيم والأين: الحية.

وطانة الله على الخير وطأمة يعني جبله.

وفناء الدار، وثناء الدار بمعنى.

40 تصاقب: الصقب: القرب، ومكان صقب: قريب. وهذا أصقب من هذا أي أقرب، وتصاقب: تقارب، وقال بعضهم: أراد المصاقب: الملاصق.

41 دراسات في فقه اللغة، د. صبيح الصالح، ص 235

42 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 276

43 المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج 1 ص 356

وَجَدَتْ وَجَدَفَ، القبر.
والمغافير والمغائير، صمغ حلو يسيل من بعض الشجر.
وَجَذَوْتُ وَجَثَوْتُ والجَذْوُ أن تقوم على أطراف الأصابع.
وَمَرَّتْ فلان الخبرَ في الماء وَمَرَدَهُ.
ونبض العرق وَبَذَ، تحرك وضرب.
وقد تَرَيَّعَ السرابُ وتَرَيَّه إذا جاء وذَهَبَ.
⁴⁴ وَهَرَّتِ الثَّوبُ وَهَرَدَهُ إذا خَرَّقَهُ.
وَكَبُنُ الدَّلْوِ وَكَبَلُهَا يعني شَقَّتْهَا»⁴⁵.

رابعاً. الاشتقاق الكبَّار (النحت):

الاشتقاق الكبَّار بتشديد الباء، أو ما يسميه القدماء كابن فارس والسيوطي النحت.
لغة: النحت النشر والقشر، ونحت الجبل ينحته: قطعه، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَتَنْجَثُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾⁴⁶ أي: يتخذون من الجبال بيوتا، متقنين لنحتها⁴⁷.
اصطلاحاً: يعد النحت وسيلة من وسائل توليد الألفاظ الجديدة، ويعرف بأنه: «أخذ كلمة من كلمتين فأكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى»⁴⁸، وتفسير ذلك «أن تعمد إلى كلمتين أو جملة، فتنتزع من مجموع حروف كلماتها كلمة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها»⁴⁹.

أشار ابن فارس إلى أن النحت جنس من الاختصار تلجأ إليه العرب، وذلك كـ"رجل عبْشَعِي" منسوب إلى اسمين، وأنشد الخليل:
أقول لَهَا ودمعُ العين جارٍ ❖❖❖ أَلَمْ تَحْزُنْكِ حَيْعَلَةُ المُنَادِي
"حَيْعَلَةُ" مكان قوله: "حَيَّ عَلَى"⁵⁰.

44 المزهر، السيوطي، ج 1 ص 356

45 المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج 1 ص 356

46 سورة الشعراء: 149

47 لسان العرب، ابن منظور، مادة (نحت)

48 من ذخائر ابن مالك في اللغة، أبو عبد الله ابن مالك الطائي الجباني، تح: محمد المهدي عبد الحي عمار، الجامعة الإسلامية بالمدينة

المنورة، ط: 29، العدد: 107، 1419 هـ، ص 317

49 فقه اللغة مناهله ومسائله، د. محمد أسعد النادري، ص 278

50 الصحاحي في فقه اللغة، ابن فارس، ص 210

من أمثلته: بسم من «بسم الله»، وحيعل من «حي على الفلاح»، حسبل، وحمدل، وحوقل، تلغراف، تلفون، زمكان، كهرمغنطسي، برمائي، هندوأوروبي، كهرومنزلي.

وأقدم من تحدث عن النحت الخليل بن أحمد، قال: فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة، واشتقوا فعلا، قال الشاعر:

وتضحك مني شيخة عبشمية ❖❖❖ كأن لم تري قبلي أسيرا يمانيا

نسبها إلى عبد شمس، فأخذ العين والباء من (عبد) وأخذ الشين والميم من (شمس)، واسقط الدال والسين، فبنى من الكلمتين كلمة، وقال: «إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل حي على، فيقال: حيعل يحيعل حيعلة»⁵¹.

أما ابن جني فلم يعقد للنحت بابا، وإنما أشار إليه في ثنايا حديثه عن الاشتقاق الذي يركز على أصوات الكلمات، فاشتقوا من الصوت فعلا، فجمعوه من حروفه، قال في باب: "إمساس الألفاظ أشباه المعاني": «وقولهم: بسملت وهيللت وحولقت؛ كل ذلك "وأشباهه" إنما يرجع في اشتقاقه إلى الأصوات»⁵².

أما المحدثون فاختلفت آراؤهم حول النحت ونسبته إلى الاشتقاق، فقد ذهب فريق منهم إلى عدم اعتبار النحت من الاشتقاق، لأنه يختلف عنه، **في كون الاشتقاق يهدف إلى استحضار معنى جديد، أما النحت فغاياته الاختصار فقط**، وصرح فريق آخر بأن النحت نوع من أنواع الاشتقاق، لأنه **عبارة عن أخذ لفظ من لفظ آخر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في المعنى ومخارج الحروف**، وقد سماه بعضهم **الاشتقاق الكبّار**، وذهب فريق ثالث إلى أن النحت من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاق بالفعل، ولعل أقرب الآراء إلى الصواب، الرأي الذي يجعل النحت نوعا من أنواع الاشتقاق، للأسباب التالية:

- أن المعنى الاصطلاحي للاشتقاق ينطبق على النحت، ولهذا سماه العديد من اللغويين الاشتقاق الكبّار، ملحقين إياه بالأنواع الثلاثة الأخرى: الصغير، والكبير، والأكبر، وأبرز ما يميز الاشتقاق أن يكون اللفظ المشتق زيادة معنى ليست في المعنى الأصلي، **لفظ بسملت أفاد حكاية قولك: "بسم الله"** وهذه الحكاية تتضمن زيادة على المعنى الأصلي، وفي هذا رد

51 كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تح: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار

ومكتبة الهلال، ج 1 ص 60

52 الخصائص، ابن جني، ج 2 ص 167، وسر صناعة الإعراب، ج 2 ص 374

على من ادعى أن النحت نوع من الاختصار ليس إلا، فضلا على أن الاختصار قد أنتج اسما أو فعلا أو صفة لم تكن موجودة قبل.

- أن أكثر القدماء قد اعتبروه من الاشتقاق، كالخليل، وابن جني كما سبق الإشارة إلى ذلك⁵³.

أقسام النحت:

النحت من كلمتين: بسم: «بسم الله»، حسبل: «حسبي الله»
النحت من ثلاث كلمات: مشأل «ما شاء الله».
النحت من أربع كلمات: هيلل: «لا إله إلا الله»
النحت من أكثر من أربع كلمات: حوقل: «لا حول ولا قوة إلا بالله»

طريقة النحت:

لا توجد طريقة محددة للنحت، ويمكن ملاحظة ما يلي:

1. عدم التقيد بأخذ الكلمة المنحوتة من جميع الكلمات المنحوت منها، كما في هيلل من «لا إله إلا الله».
2. عدم التقيد بأخذ عدد معين من الحروف من كل كلمة، ففي حين أخذت كلمة «مشأل» حرفا واحدا على الأقل من كل كلمة في جملة «ما شاء الله»، نجد أن كلمة «حسبل» أخذت ثلاثة حروف من الكلمة الأولى وحرفا واحدا من الكلمة الثانية من جملة «حسبي الله».
3. عدم التقيد بترتيب الحروف الأصلية للجملة المنحوت منها، مثل كلمة «طبلق» المأخوذة من «أطال الله بقاءك»
4. عدم الالتزام بالحركات والسكنات الأصلية، مثل «سبحل» المنحوتة من «سبحان الله» وما يتفق عليه الدارسون هو: تفضيلهم أن تكون الكلمة المنحوتة تمثل الكلمتين المنحوت منهما تمثيلا حسنا، وذلك باختيار الأحرف التي تذكر السامع بما نحت منه اللفظ.

أنواع النحت:

يقسم النحت إلى أربعة أنواع:

1. النحت الفعلي: فيه ينتزع من الجملة فعل يدل على النطق بها أو على حدوث مضمونها، مثل: حمدل، وبسمل، وحوقل، وحسبل.

2. النحت الوصفي: فيه تنتزع صفة من كلمتين أو أكثر كلمة تدل على صفة بمعنى المنحوت منه، مثل: «صلدم» من «صلد وصدم»، والعَلِكِد بمعنى الشديد، من العكد بمعنى السمن والغلظة، ومن العلود وهو الشديد، ومن اللكد وهو تداخل الشيء بعضه في بعض.

3. النحت الاسمي: فيه ينحت من كلمتين اسم جامع بين معنيهما، مثل: «جلمود» من «جلد وجمد».

4. النحت النسبي: فيه ينسب شخص أو شيء إلى مكانين، طبرخزي من «طبرستان وخوارزم»، أو ينسب إلى اسم مكان أو قبيلة مركبا إضافيا، مثل عبشي من «عبد شمس»⁵⁴.

ملاحظة: يلاحظ أن كثيرا من الكلمات المنحوتة تخضع لقواعد التصريف والاشتقاق والتثنية والجمع: بسمل، يبسمل، بسملة، مبسمل.

أوزان النحت: يمكن القول أن الكلمات المنحوتة ترد على الأوزان التالية:

1. فعلل: بسمل، حمدل، حبقر، صلدم... ويبدو أن جل الكلمات المنحوتة هي على هذا الوزن.
2. مُفْعَلل: مُحَبَّرَم، مشلوز...
3. متفعلل: متعبشم، متعبدل...